المدن الجديدة بين الفكرة والانجاز

الأستاذ: طلحة بشير
جامعة الاغواط

مقدمة :

مر المجتمع البشري بمراحل وتطورات مهمة خلال مسيرته التاريخية كان على رأسها الحدث التاريخي الهام الذي ترك اثرا بارزا على طبيعة وبني المجتمعات الاوروبية على وجه الخصوص ليس فقط من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فقط بل حتى من الناحية العمرانية، مشكلا بذلك انماط عمرانية جديدة مصاحبة لعملية التصنيع التي زحفت بالتدريج متجاوزتا حدود المدينة الى الضواحي والارياف .

ومع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تفاقمت حدتها من خلال ما أفرزته من ظواهر حضرية اثرت بدرجة كبيرة على الانسان وبيئته، وهذا ما حفز بدوره السياسيي ن والمفكرين والمخططين المعماريي ن الى التفكير في البحث عن السبل الأنجع للقضاء على اثار التصنيع وايجاد الحلول المناسبة للتخفيف من حدة المشاكل التي تعاني منها المدن، فصدرت بذلك مجموعة من القرارات والتشريعات المتعلقة بتهيئة المجال الحضري، ولم تتوقف هذه الاجراءات عند هذا الحد بل تجاوزتها لخلق بدائل جديدة تكون بمثابة فضاء جديد خالي من كل الظواهر الحضرية المرضية وخاضع لسياسة تخطيطية ملائمة لحياة الانسان وبيئته، وتمثل ذلك في بعض المشاريع كان على رأسها مشروع المدن الجديدة .

وعليه فان هذه المداخلة تسعي الى التعريف بهذا الاسلوب من خلال الاجابة على التساؤلات التالية :

- ماالمقصود بالمدن الجديدة ؟

- ماهي مبرراتها الواقعية ؟

- هل يعتبر اسلوب المدن الجديدة وسيلة مثلة للتخفيف من تنامي وتضخم المدن ؟

- هل يعتبر هذا الاسلوب صالحا لكل الاوضاع والحالات ؟

- وماهي نتائجه المحققة على ارض الواقع ؟

مفهوم المدن الجديدة :

يجب الاشارة في البداية الى ان مصطلح المدينة الجديدة قد ظهر في العديد من كتب التاريخ التي ذكرت ان بعض المدن اطلق عليها تسمية مدينة جديدة، وعليه فانه يمكن ان نعتبر ان كل مدينة في اصل نشأتها تعتبر مدينة جديدة [1]، اما المدينة الجديدة كفكرة او كمشروع فقد ظهرت للوجود خلال القرن التاسع عشر وتحديدا في انجلترا على يد احد المخترعين وهو " ابنزرهوارد" حيث صرح في كتابه بان " المدن المكتظة قد ادت واجبها ولم تعد تصلح للسكن " ودعا الى ضرورة ايجاد مواقع جديدة بعيدة عن المدن الرئيسية .

وقد شهدت هذه التجربة بعد ذلك انتشارا في اوائل القرن العشرين باشكال وانواع مختلفة في كل من هولندا وامريكا وفرنسا والعديد من دول العالم، " الى انه يبقي هذا المفهوم (المدن الجديدة) فيه لبس لعدم وجود تشابه بين هذه المدن في العالم، وهذا الاختلاف يرجع الى اسباب حضرية (حجم المدن، المكان ...الخ) ويظهر اكثر في الهدف والمبدأ " [2].

ولكن رغم ذلك لا يمنعنا هذا السبب من محاولة اقتراح تحديدا للمدن الجديدة وفق المشاريع والدراسات التي اقامها العديد من المفكرين، وفق التالي:

المدن الجديدة هي خلاصة الفكر البشري في مجال التحضر والتعمير (المعمار، التنظيم، توفير المرافق ...الخ)، قصد إسكان المواطنين في ظروف ملائمة، ويكون لها ميزة او خاصية المدينة " أي نواة ذات تجهيزات وعوامل هيكلية، أي مدن كاملة لها الاستقلالية عن المدينة الام، عكس الاحياء التي هي جزء من المدينة او الضواحي التي تكون تابعة للمدينة الام، والتي اتخذت أسلوب لمعالجة المشاكل العمرانية التي اصبحت تعرفها المدن القائمة والحصول على مجالات حضرية تستجيب لشروط الحياة الاجتماعية الحضرية الحديثة " [3].

أسباب ظهور المدن الجديدة :

ترجع اسباب ظهور المدن الجديدة الى المرحلة التي ازدهرت فيها المدن وهذا بفضل عملية التصنيع وما صاحبها من نمو حضري ادي الى افراز مشاكل حضرية تمثلت في (الازدحام والاكتظاظ والفقر والجريمة واعتلال الصحة وتلوث البيئة ...الخ)، ولكن الاسباب على العموم تلتقي في مايلي :

-لسبب وجود مصانع فوجب اسكان العمال بناء على قرار سياسي

-على اساس الحاجيات الاقتصادية (التنمية) في مناطق وجود الثروات الطبيعية المكتشفة

-لفك الخناق او التخفيف عن التجمعات السكنية الموجودة وعلى اساس فكرة سياسية (برازيليا، اسلام اباد) .

نماذج من مشاريع المدن الجديدة في العالم :

تختلف مشاريع المدن الجديدة في العالم حسب كل البلد وسياسته الحضرية النابعة بدورها من السياسة العامة للبلاد، مما يصعب عملية حصرها والتطرق الى كل التجارب خلال هذه المداخلة، وعليه فاننا نركز على تجربتين اوثلاثة حسب اهميتها، مبتدئين بالتجربة الانكليزية باعتبارها التجربة الرائدة عالميا والسباقة الى تبني هذا المشروع، وبعدها سنتطرق الى تجربة من دول العالم الثالث وهى التجربة البرازيلية، مستبعدين بذلك تجارب الدول الاخرى نظرا لذيق الوقت وشساعة الموضوع.

المدن الجديدة في انكلترا :

ترجع الفكرة الاولى لمشروع المدن الجديدة في انجلترا الى القرن التاسع عشر وتحديدا سنة 1898 لصاحبها "ابنزر هوارد" اين شرح فكرته في كتاب له تحت عنوا " الغد " (tomoraw) بعد ذلك أعيد نشره وتوزيعه تحت تسمية اخرى بعنوان " المدن الجنائنية او الحدائقية " [4]، وقد كان يهدف من خلاله الى ايجاد وسائل جديدة تمكن من خلق مزاوجة بين الريف والمدينة، فقد ذكر ان الفكرة الاساسية تتمثل " في ايجاد السبل والوسائل لتحقيق الارتباط الصحي والطبيعي والاقتصادي للمدينة والريف" [5]، وشرحا لهذه الفكرة فقد قدم مثالا عمليا وهو ان المجتمع المثالي للمدينة يتألف من جزئين متفاعلين، الاول مدينة يبلغ عدد سكانها ثلاثون الف، تبنى على مساحة رقعتها الف فدان ويحيط بها حزام زراعي رقعته خمسة الاف فدان ويبلغ عدد السكان فيهم الفين مواطن، بحيث ستتوفر للمزارع سوقا لتسويق منتجاته امام عتبة بابه مما يمكنه من توفير تكاليف النقل وارباح الوسطاء ويمكن بالمقابل استخدام مخلفات المدينة لتسميد الارض الزراعية وبذلك تزدهر الزراعة وتعود بالربح على المزارع .

لا يقف الامر عند هذا الحد بل يتعداه الى امكانية زراعة المحاصيل النادرة مثل : الشاي والبن والتوابل ...الخ، هذا فيما يخص مجتمع المدينة اما من الناحية التخطيطية فانها تأخذ شكل دائرة عرضها ميلا ونصف ويتخللها ستة طرق عريضة ومشجرة، اما الجانب الاقتصادي للمدينة فيتمثل في تواجد مصانع ومستودعات ومزارع الالبان واسواق ومساحات الفحم وبالاضافة الى العلاقات الاقتصادية الموجودة بين السكان والمتمثلة في التجارة والحرف والمهن وهذا مايحقق فكرة الكاتب التي ترى ان الارض الزراعية صفقة للمستثمرين والتجار عندما تتحول الى استخداما ت مدنية، ولقد تم اختيار الابنية والرسومات النظرية للمدن والمقترحة من طرف ابنزر هوار في واحات مثالية نموذجية من الريف الانجليزي .

هذا اهم ماجاء به ابنزرهوارد حول فكرته المدينة الحدائقية والتي لم تتوقف في انجلترا فحسب، بل انتقلت فيما بعد الى فرنسا، لنجد كاتبا اخر يتبني نفس الفكرة وهو " جورج بينوا" وذلك من خلال مؤلفه " المدينة الجنائنية" سنة 1904، ولتنتقل بعدها ويتبناها منتخب اشتراكي اسمه "هانري سالين" حيث كان يرى انه من غير الممكن بناء مدن كاملة مكتفية ومستقلة ذاتيا حسب النموذج الانكليزي " لكن بالأحرى مجموعات سكنية خاصة لضمان تخفيف الازدحام عن باريس وضواحيها وذلك بتقديم اكبر قسط من الراحة المادية وشروط النظافة [6].

اذا كان الفضل في اكتشاف فكرة المدن الجديدة يرجع الى ابنزرهوارد فان النجاح المحقق على مستوى الانجاز فيما يخص التجربة البريطانية يرجع الى السياسة الحضرية والاجراءات المتعاقبة خلال السنوات الاولي المبكرة التي سبقت تجارب معظم الدول، وعليه فانه يمكن التمييز بين مرحلتين مهمتين .

المرحلة الأولى : 1937 – 1946

قبل الحرب العالمية الثانية طرح البريطانيون مشكلة البحث عن سياسة لتهيئة الاقليم وذلك مع تقرير السيد بارلو (Barlo) سنة 1940، حيث سطر الخطوط العريضة للسياسة المتبعة، ولكن لم تسمح الظروف بتطبيقها .

كلفت لجنة برئاسة السيد " بارلو " سنة 1937م لدراسة الكثافة السكانية الصناعية وتقييم نتائج التراكم الحضري والاقتصادي وإقتراح حلول للإصلاح، بعد ثلاث سنوات عرض التقرير في شهر جانفي 1940م وبين المساوئ المترتبة عن التضخم والتمركز الحضري ابتداءا من القرن التاسع عشر واقترحت اللجنة مايلي:

– وجوب الاصلاح الاداري للمقاطعات العمرانية المكتظة .

– تعميم سياسة اللامركزية إداريا وإقتصاديا .

– البحث عن إستقرار في المناطق وتنويع اختيار النشاطات الاقتصادية .

إضافة الى ذلك فقد أوصت اللجنة بخلق سلطة مستقلة عن الوزارة التي تشرف على توجيه العمل وتكلف بوضع مقترحاتها ميدانيا وتكملة لتقرير " بارلو " أنشأت سنة 1942م وزارة الاعمال والتخطيط، وفي سنة 1943م وزارة العمران والتهيئة العمرانية، ومنذ سنة 1951م أصبحت هذه الوزارة خاصة بالاسكان والحكومات المحلية هذه الاخيرة تحت تسمياتها المختلفة مكلفة بمراقبة بناء المدن الجديدة ومخططات التهيئة .

هذه المبادئ التي نص عليها تقرير السيد بارلو اعيد اتخاذها وتأكيدها من قبل السيد " باتريك ابير اكرومبي " (Abecr - Crombie)، في مخططه الخاص بلندن الكبرى حيث اقترح الفرضيات التالية :

- **لا يمكن لأي صناعة جديدة أن تقبل في المدن الصغيرة في لندن ولابد من إرساء قوانين لمراقبة تطور وتضخم العمل الصناعي .**
- **صناعات كثيرة وعمالها يجب أن يكونوا متباعدين .**
- **الكثافة السكانية الإجمالية الخاصة بلندن الكبرى لا يجب أن ترتفع بل العكس يجب أن تنخفض.**
- **ميناء لندن يجب أن يحفظ أهميته الحيوية .**
- **قسم من الكثافة السكانية الموجودة في لندن يعاد توزيعها .**

كان الهدف الاساسي بالنسبة لهذا المخطط هو تجسيد سياسة الاستقرار الخاصة بالكثافة السكانية وذلك عن طريق تشكيل مدن جديدة بمقياس متوسط خمس مئة الف ساكن (500 الف)، وهذا ماتم المصادقة عليه بالفعل من طرف البرلمان في افريل سنة 1946 [7].

المرحلة الثانية : 1946 – 1961

تعتبر هذه المرحلة ابتداءا من سنة 1964 تجسيدا للسياسة التي طرحت في كل من تقرير بارلو ومخطط ابير كرومبي، ولقد تم بناء ثمانية مدن جديدة حول لندن بالاضافة الى مدن اخرى في اماكن من انجلترا وتمثلت الاجراءات المتخذة في هذه المرحلة في مايلي :

1/ سياسة اللامركزية الصناعية :

بعد الحرب وضع ت مجموعة من القوانين هدفها توجيه تموضع مناصب الشغل، فكل مؤسسة صناعية يراد توسيعها او خلق فروع لها يجب أن يكون لديها رخصة بناء ورخصة من جهاز التخطيط، وشهادة التطور الصناعي وهذه الاخيرة تعطي من طرف لجنة وزارية.

وفي المناطق المراد تطويرها كانت تعطي الاولوية لمنح شهادات التطوير الصناعي، بالاضافة إلى المساعدات المالية التي يستطيع الاستفادة منها الصناعيين .

ولقد بدا واضحا مدى نجاح هذه السياسة المتبعة من خلال ما حقق على ارض الواقع، فالمساحة المبنية للمؤسسات الجديدة والتوسيعات والتحويلات من طرف المؤسسات الصناعية قد تزايدت اكثر من خمسين بالمئة 50% خلال الفترة الممتدة من 1962 الى 1963 [8].

2/ سياسة لامركزية المكاتب :

يتمثل هذا الاجراء في محاولة التخفيف من السياسة المركزية وتشتيت المكاتب بإعتبارها تحوى مناصب شغل كبيرة، وذلك بفرض قوانين صارمة جاءت متتابعة، فالحكومة قد إقترحت في 04 نوفمبر 1964م تشكيل رخصة إنشاء المكاتب واعتبرت المساحة المثلي 270 م² في "لندن" وضواحيها أي على بعد 65 كلم تقريبا من المركز، وفي سنة 1967م اقترح زيادة المساحة المرخص بها الى 900 م² خارج لندن الكبرى عام 1968م بهدف تسهيل عملية توزيع هذه المكاتب وفك الضغط عن المدن الكبرى .

3/ توسيع المدن الصغيرة :

يتمثل هذا الإجراء في صدور قانون سنة 1952م والذي أعط الإطار الإداري والمالي لتوسيع المدن الصغيرة وذلك من خلال :

- **توسيع المناطق السكنية، حيث ترافقها عملية إنشاء تجهيزات تابعة لها وإنشاء مناصب شغل .**
- **يجب تخفيض الكثافة السكانية في المدن المزدحمة بالسكان .**

– يجب أن يكون مشروع التوسيع مهما بالنسبة لحجم السكان ومصادرهم حتى يمكن الإستفادة من مساعده مالية من الخزينة .

بعد مرحلة اضطراب دامت ما يقرب من عشر سنوات انطلق العمل بهذا التشريع وبوتيرة متسارعة كانت نتائجها سنة 1968 ما يقرب من ستة وستون 66 مدينة في حالة توسيع النصف منها فقط يتعلق بمدينة لندن الكبرى .

لم تتوقف الإجراءات المتخذة بالنسبة لتهيئة الإقليم سواء فيما يخص لندن الكبرى أو إنجلترا عموما، فقد انتقلت السلطات من سياسة محدود ة جهوية إلى سياسة تهيئة شاملة للإقليم، كالدراسات التي جاءت فيما بعد مثل الدراسة التي قامت في الجنوب الشرقي لإنجلترا و التي تتعلق بافاق سنة 1981 انطلاقا من تقيم سنة 1961 .

ان أهم ما يميز السياسة الحضرية الانجلزية هو غناها بالإجراءات المتتابعة والتي أكسبتها خبرة كبيرة في ميدان تهيئة وإصلاح المناطق، هذه التجربة التراكمية تنطلق من حصر نقائص التجارب الاولى لتكميلها وتفاديها في التجارب اللاحقة .

تقرير ريث (Reth) :

لا يمكن الحديث عن مشروع المدن الجديدة دون الاشارة الى ما قدمته اللجنة التي كان يترأسها اللورد ريث، وما ساهمت به من اقتراحا ت تخص المدن الجديدة وهذا ما تبين في توصياتها حيث اشارت الى جملة من الامور كان اهمها مايلي :

تفضيل بناء المدن الجديدة في مواقع خالية على الرأي الثاني الذي يرى أن يختار وسط صغير كمركز أو نواة للحياة الاجتماعية .

يقترح بأن تكون المدن الجديدة ممركزة أساسا حول المناطق العمراينة الكبرى الكثيفة جدا للتخفيف من عدد السكان .

يجب أن تكون المسافة الفاصلة بين المدينة الجديدة والمد ينة نفسها أقل من 40 كلم في منطقة " لندن "، ومن 20 كلم تقريبا في المناطق الاخرى، ويهدف هذا الإجراء إلى إيجاد نواة مستقلة إقتصاديا وثقافيا .

يجب تحديد حجم المدن الجديدة، بحيث يتراوح بين 20.000 و 60.000 ساكن ويطالب بأن يضم الاقليم الاداري للمدينة الجديدة حزاما أخضر 1200م عرضا يحيط بالمدينة .

أما فيما يخص الجانب الجمالي المناظر الطبيعية فهو يوصي بحماية الفراغات والتي تعطي جمالا كبيرا للمدينة .

أما بالنسبة لشغل الاراضي فتقترح اللجنة برمجة المناطق السكنية بطريقة تضمن التنوع الضروري وذلك بجلب ممثلين عن كل الطبقات الاجتماعية .

ولقد دامت هذه التوصيات قرابة عشريتين من الزمن لذلك فمدن الجيل الاول تظهر أنها أكثر صرامة من ناحية التخطيط، لكن في الاخير ظهر أنه من الضروري السماح بالتطور حسب بعض التعديلات المقترحة وحسب الاذواق والعادات آليات التحقيق :

1/ التنظيم الإداري :

لم يكن نجاح المدن الجديدة ممكنا إلا بعد صدور قانون المدن الجديدة " New Towns Act " والذ ى وفر لها الإمكانيات الإدارية والمالية، هذا القانون الذي صودق عليه منذ عام 1946م، بحيث انشأة منظمة تقوم بتبني توصيات لجنة ريث " Rieth " سميت " جماعة التنمية " لكل مدينة ولها مهمة مراقبة

وحراسة المخطط الهندسي والحضري ، أي مهمة المراقبة الهندسية، تتكون هذه اللجنة من خمسة أعضاء حتى تسعة أعضاء بما في ذلك الرئيس ونائبه بحيث تكون معتمدة من قبل وزارة التنظيم الحضري بعد إستشارة الجماعات المحلية وتكلف بحيازة الأراضي وتهيئتها وتوجيه بناء المدينة ويمكن ان تنشىء أقسام إدارية عند إتساع المدينة، وتضمن تمويل العمليات بواسطة قروض من الخزينة تعويضية تعوض خلال ستين عاما مع نسب فوائد، وتعين الجماعة التي تجتمع حوالي مرة في الشهر المدير العام الذي له حق توظيف العمال لموافقة الجماعة التي تلعب نوعا ما دور مجلس الإدارة . إستمر العمل بهذا التشريع حتى عام 1959م أين إستبدل بقانون جديد يقضي بإحلال " لجنة المدن الجديدة " مكان " جماعة التنمية " لتسيير المدن التي هي في طريق الإنجاز .

2/ الجانب المالي :

نظرا لما يكتسبه الجانب المالي من أهمية بالغة في إنشاء المدن ال جديدة، فقد اعتمدت جماعة التنمية على القروض من الخزينة وذلك بمدى طويل حوالي ستين سنة مع بعض التأجيل في إستهلاك هذه القروض التي تنوعت رسومها من 3% سنة 1947م إلى 6% وتجاوزت حتى 9% إلى 10% خلال سنة 1970م ولكن كانت في المتوسط 5% خاصة بالنسبة لمدن الجيل الاول، ويأتي مصدر جماعات التنمية في دفع الفوائد و الأقساط السنوية والمتعاقد عليها مع الخزينة من الإيجارات، إضافة إلى هذا تلقى جماعات التنمية مساعدة مالية حكومية سنوية خلال مدة مساوية لمدة القروض (60 سنة) ولتضمن جماعة التنمية الزيادة في مصدرها فانها تبني بنفسها المساكن بالاضافة الى الايجارات الصناعية وإيجارات المتاجر.

ويظهر هكذا أن انجاز المدن الجديدة ما أمكنها التحقيق لولا وجود هـ اتين الآليتين اللتين سهلتا المهمة (جماعة التنمية، وسياسة الا قتراض على المدى الطويل) .

تقييم المدن الجديدة الانكليزية :

إن ما يمكن إستنتاجه من التجربة الأنجليزية هو الغني والخبرة التي اكتسبتها خلال السنوات المتعاقبة، والإجراءات المطبقة خاصة ابتداءا من الحرب العالمية الثانية (مخطط ابير كرومبي، لجنة ريث، قانون المدن الجديدة)، والتوافق المحقق بين الإقتراحات الأولى والإنجازات، والذي يعود فيه الفضل الى عاملين أساسين هما :

– بساطة التركيبة الإدارية " جماعة التنمية " المكلفة بتخطيط وإنجاز وصيانة المدن الجديدة.

– أسلوب التمويل (قروض طويلة المدى 60 سنة بفوائد منخفضة ومؤجلة .

كذلك لا يمكن إغفال الجانب اللآخر الذي يدخل في التركيبة الثقافية لهذا الشعب والمتمثل في حفاظه واعتنائه بالمحيط (حماية المساحات الخضراء، المدن الجديدة خارج الحزام الاخضر)، إضافة إلى " ما يتصف به هذا الشعب من واقعية مكنته من السعي لايجاد أفضل الصيغ الممكنة التى تساعد على تنمية المكتسبات الحضرية، حسب مقاييس وحاجيات نهاية القرن العشرين" [9].

أما فيما يخص الجانب المعماري، والذي نجح فيه المهندسون البريطانيون كثيرا هي عملية تقسيم المناطق (Zonage) " منذ البداية استطاع المخططون تقسيم المناطق الصناعية وتوزيعها توزيعا منظما وسط المدينة والاحياء السكنية " [10].

" بالاضافة إلى أن هذه المدن تمثل للزوار بيئة غنية تجعلهم يشعرون بنوع من الانفراج والانبساط والرتابة، إضافة إلى ما تحمله من هواء منعش ونظافة " [11]. أما ما يعاب عليها هو عدم تحقق الفرضية التى انطلقت منها والتى كان مغزاها استقرار سكان منطقة " لندن " وتخفيف نسبتهم " لتظهر عدم كفايتها إذ أنها لم تمتص إلا السدس من الزيادة الاصلية خلال 22 سنة من إنجازها أي مدن الجيل الاول، ولم يكن بإمكانها كذلك جلب الوظائف الاكثر تنوعا والتجهيزات القادرة على جعل منها أوساطا متوازنة فقد أظهرت عدم كفايتها لوظيفة القطاع الثالث (الوظيفة المكتبية) " [12]، وهذا بدوره يؤثر على عملية الهجرة نحو " لندن "، لكن التجربة الانجليزية لم تتوقف عند هذا الحد فقد ظهرت دراسات تتجاوز نقائص المخططات الاولى .

المدن الجديدة في البرازيل :

تتشابه دول العالم الثالث في كثير من الخصائص والظ واهر بإعتبار أنها مرت بأحداث وظروف متشابهة أثرت على مسيرتها، والتي كان على رأسها الإستعمار، لذلك فقد شهدت بعد حصولها على إستقلالها عملية تنمية شاملة لإصلاح ما أفسده الإستعمار ولتحسين ظروفها للحاق بركب الدول المتطورة، ومن بين هذه المشاريع إقترحت مشروع المدن الجديدة، لذلك سنحاول في هذا الفصل التطرق إلى التجربة البرازيلية في نقل العاصمة البرازيلية الفيدرالية إلى برازيليا .

تعد البرازيل أكبر دولة في أمريكا اللاتينية بمساحة تقدر بـ 8، 5 مليون كلم^2، أي نحو أربع مرات مساحة الجزائر تقريبا، وقد استعمرها البرتغال نحو ثلاثة قرون، ثم إستقلت عام 1822م وكونت إمبراطورية جمهورية فيدرالية متكونة من إثنين وعشرين ولاية .

ويقدر عدد سكان البرازيل بأكثر من 144 م/ن، أي مايقارب نصف سكان أمريكا اللاتينية، وينحدرون من سلالات مختلفة نتيجة للهجرات البشرية التى عرفتها البلاد، حيث تم اثناءها إضافة عدة اجناس للعنصر الهندي القديم .

وفيما يخص توزيع السكان على المساحة فان الكثافة تتفاوت من جهة لأخرى، حيث يتجمع أغلبية السكان بالمنطقة الساحلية بين ريوديجنيرو وساوباولو، إذ تزيد الكثافة على 1000 نسمة /كلم²، بينما لا تتعدى 6 نسمة / كلم² على هضاب الداخلية، و2 نسمة / كلم² في حوض اللامزون غير ان 90% من البرازيليين يتمركزون في مساحة تتجاوز 35 % من مساحة البلاد ويرجع هذا التفاوت إلى عوامل طبيعية وإقتصادية وتاريخية .

الفكرة والتحقيق :

من بين أشهر المدن الجديدة التى أنشأت لأغراض سياسة وإدارية العواصم الجديدة، فرساي، واشنطن في منتصف القرن وأنقرا بتركيا وبيونس إيرس Buence - aires التي انشأت في آواخر القرن التاسع عشر كعاصمة على بعد 56 كلم من العاصمة الفيدرالية للأرجنتين ومن بين التجارب الحد يثة برازيليا بالبرازيل وإسلام آباد بالباكستان وشند يغار بالهند، فما من مدينة توحي بمدينة جديدة كبرازيليا التي تمثل الاسطورة التي تحولت إلى حقيقة.

فقد بدأ التفكير في إنشاء عاصمة جديدة داخل البرازيل قبل الاستقلال سنة 1822م وبعد تأسيس الج مهورية 1889م تم الاتفاق على نص قانون 1890م والذي يمهد لإنشاء إقليم فيدرالي قاعد ى هذا الاخير مساحته تقدر (190 كلم × 160 كلم)، وحدد سنة 1892م بخمسة مواقع ممكنة، لكن الحجم هورية الفتية توقفت عند ذلك بالرغم من بعض المحاولات ووضع حجر الاساس سنة 1922م ولم تليه أي علمية فيما بعد .

فالتشريعات المتتالية للسنوات 1934م، 1937م، 1946م، حاولوا من جديد إعادة إنشاء عاصمة جديدة، قدمت في هذه الفترات حجج وأسباب إستراتيجية كأبعاد العاصمة على الاعتداءات الخارجية الاجنبية ووضعها في مكان يحميها من كل أهواء Rio - Dio و مجاورة ساوباولو وتفضيل موضع مركزي إقتصاديا .

و تم إتخاذ القرار بعد محاولة أولية، حيث تم إنشاء لجنة جديدة محلية لدراسة ملف العاصمة الجديدة الفيدرالي والمطابقة لقانون 05 جانفي 1955م، وأوكلت دراسة المشروع إلى الشركة الامريكية Donald . j . Belcher، حيث حللت كل موقع من المواقع الخمسة المقترحة 1892م، وأعطت معطيات طوبوغرافية (دراسة طبيعية الارض وقيمتها الزراعية ... إلخ) .

و تم اختيار الموقع عن طريق لجنة نظم ستة (6) أفراد (مهندسين) ومهندسين معماريين في أفريل 1955م، أعطى هذا الحدث نتانجة عند الحملة الانتخابية للرئيس Juscelino - Kubitsckek في مدينة Jatai بتاريخ 04 أفريل عام 1955م، أجاب أحد الناخبين أنها ستؤخذ المبادرة بتحويل العاصمة إبتداءا بتطبيق الدستور، وعندما فاز بالرئاسيات (J . k) في 18 أفريل 1956م قرر بتطبيق الدستور وفي نفس الوقت بتعين شركة لبناء العاصمة الفيدرالية الجديدة سميت Nova - Kap هذه الاخيرة أنشأت في سبتمبر 1956م وكان على رأس العملية رجل سياسي يدعى Israél - Pinteiro والمهندس المعماري Oscar Niemeyer الذي كانت له علاقات خاصة مع رئيس الدولة وبذلك أوكلت له مسؤولية الاشراف عن قسم العمران والهندسة بالاضافة إلى ثلاثة مهندسين معماريين أمريكي، بريطاني، وفرنسي لاختيار أحسن مخطط للعاصمة .

ومن بين 26 مخطط اربع مخططات من بينها عن طريق القرعة ظهر المخطط القائد (الر ائد) لصاحبه Lugiocosta والذي يحمل فكرة مفادها أن العاصمة الفيدرالية يجب أن تكون مخالفة لكل المدن التى عدد سكانها 500 ألف /ن وهذا الهدف الذي كانت ترمي إليه المسابقة .

مراحل الانجاز :

بعد الاختيار الذي وقع على المخطط القائد سنة 1955م، من طرف أعضاء لجنة البناء تم الشروع في البناء على أرض صحراوية ليستغرق المقر المؤقت لرئاسة الجمهورية عشرة (10) سنوات، وأول كنيسة قبل نهاية سنة 1956م وفي سنة 1957م تم بناء الحي الحر (La Cité Libre) أين أقام البنات الاوائل وسنة 1959م تم بناء عمارات المجلس والوزارات والكاتيدرائية.

فمعظم البنايات العامة (المجلس، مقر الررئاسة الجهوية، المحكمة العليا، وزارة الشؤون الخارجية، والوزارات الاخرى، الكاتيدرائية والمسرح الوطنى، الساحة فندق برازيليا، المحكمة الفيدرالية مقر الموقع العسكري) تم بتخطيط من طرف المهندس Oscar بين سنة 1957م و1960م.

وعليه فقد ظهرت برازيليا الفتية بصفة استعراضية وتذكارية وجمالا لا تقدمه إلا هندسة متجانسة من النوع الرفيع [13]، وفي 20 أفريل 1960م سلمت إدارة شركة Nova - Kapa إلى الرئيس Kubitsckek مفاتيح مدينة 140 ألف ساكن والتي أصبحت من أشهر العواصم ولتشهد بعد ذلك تناهيا واتساعا بطيئا في فترة الرئيس جواو – قولار Jouo - Goular حوالي سنة 1967م .

وأمام هذه الوضعية التى دامت عدة سنوات أخذ النظام العسكرى البرازيلي المبادرة بإعادة العاصمة إلى برازيليا بشكل فعلي وكامل سنة 1970 وتم ذلك عن

طريق نقل وزارة الشؤون الخارجية بالاضافة إلى السفارات الاجنبية التى أعطيت لها مهلة مغادرة مدينة "ريوديجانيرو " قدرت بسنتين .

ويجب الاشارة هنا إلى مستوى التجهيزات بي برازيليا، فحسب الاحصائيات فانه ينشط بالعاصمة 168 مدرسة إبتدائية (40 مدرسة خاصة تستوعب أكثر من 30 ألف متمدرس) بإلاضافة الى جامعة فيدرالية ومؤسسات تعليمية عليا تستوعب 3000 طالب في المجموع، و 25 مكتبة أما في الجانب الترفيهي فيوجد 14 قاعة سي نما، ومسرح وفي الجانب الطبي 25 مؤسسة طبية منها (6) مستشفيات متفاوتة الاهمية تضم أكثر من 1300 سرير في المجموع.

و تتصل العاصمة بخط جوي يربطها بـ 15 مدينة داخلية وعدة عواصم أجنبية بالاضافة إلى خطوط السكك الحديدية 2500 كلم من الخطوط [14].

تقييم التجربة البرازيلية :

لقد كانت التجربة البرازيلية تندرج ضمن استراتيجية فوقية وهي تحويل المركز السياسي والسيكولوجي من المراكز الاستثمارية إلى أراضي خالية داخل البرازيل وذلك بخلق عاصمة جديدة، اعتبرت بالنسبة لدولة من دول العالم الثالث تعيش تحت ظروف اقتصادية صعبة تحدى كبير بالنسبة لها ولإمكانياتها.

فهل نجح هذا المشروع ؟

إن فكرة إنشاء مدينة جديدة " عاصمة جديدة " ظهر قبل الاستقلال سنة 1822م ولم يظهر كمشروع إلى غاية سنة 1956م أين شرع في تطبيقه، هذا الفارق الزمنى لم يظهر فيه تطور الدراسات والاجراءات بقدر ما ظهرت فيه عملية إتخاذ القرارات (القرار بعد تأسيس الجمهورية، القرار المصاحب للحملة الانتخابية للرئيس الجديد، القرار من تدخل السلطة العسكرية في نقل العاصمة

الكلي)، يؤكد المقولة التى ترى " أن قرار خلق مدينة جديدة ينبع دائما من إختيار سياسي " [15].

" عند انشاء العاصمة في أول الامر لم يرغب الموظفون الحكوميين في مغادرة " ريوديجانيرو " بسبب عزلة العاصمة " برازيليا "، غير أن هذا لم يمنع المدينة من التطور تدريجيا لتصبح عاصمة مكتملة فيما بعد " [16].

اما الجانب الاخر من قصور المشروع يتمثل في أن " نسبة 60% من السكان يعيشون في مجمعات توابع (تقع خارج المدينة) أي خارج المدينة الأثرية، في صورة مساكن عشوائية تنقصها التجهيزات والشروط الضرورية (المياه، كهرباء، الصرف ... الخ) .

الإستعانة بمهندسين ومعماريين غربيين، بل ومؤسسات أجنبية تشرف على دراسة وتطبيق هذا المشروع (الشركة الأمريكية، مهندسين : أمريكي، فرنسي، بريطاني)، لكن لم يمنع هذا من الحضور القوي للمهندسين والمعماريي ن البرازيليين الذي تركوا بصماتهم في هذا المشروع (كوستا واوسكار).

الخاتمة:

ما نستطيع إستنتاجه من خلال التجارب المطبقة على مستوي دول العالم هو أن المدن الجديدة تجاوزت النظرة القائلة بأنها محاولة وهمية غير واقعية، فيمكن تطبيقها حتى في دول العالم الثالث التي شهدت تحضرا متأخرا .

ان المدن الجديدة جاءت كإستجابة للمشاكل الحضرية التي شهدتها الدول الغربية و محاولة التقليل من حدتها، و ذلك بإتخاذ مجموعة من الإجراءات والتشريعات العمرانية، وهذا ما ظهر في تجربتي إنجلترا وفرنسا لفك الخناق عن العواصم : لندن وباريس .

بينما في بعض الدول وخاصة منها الإشتراكية فقد جاءت لتنمية مناطق تواجد الثروات والتي تدخل ضمن سياسة إقتصادية تنموية، أما بالنسبة لتجربة دول العالم الثالث فقد جاءت استجابة للجانب السياسي متمثلا في مجموعة قرارات أكثر منها إجراءات وتشريعات .

إن مدى نجاح المدن الجديدة مرهون بمدى توفر ميكانيزمات وشروط تضمن إستمراريتها ووظيفتها والتي من بينها :

- الموازنة بين الشغل والسكن .

- توفير الهياكل القاعدية (المواصلات) .

- عوامل الجذب كتوفير المرافق الإجتماعية والحياة الثقافية .

اضافة الى الاليات المتبعة لتحقيق هذا المشروع فالتجربة الانجليزية نجحت بفضل الآليتين المتبعين في تحقيق المشروع (جماعة التنمية والقروض على المدى الطويل)، بينما يظهر نقص الآليات المتبعة لتحقيق هذا المشروع في التجربة ودول العالم الثالث .

وعليه يمكن ان نستخلص ان أسلوب المدن الجديدة ليس صالح لكل الأوضاع والحالات فإقامة مدن جديدة ليست في متناول الدول الفقيرة، و جب اللجوء إلى تنمية المدن القائمة وتوسيعها للتقليل من التكلفة . واعتماد سياسة التوازن الجهوي والاقليمي الذي يدخل في إطار تنمية شاملة ومتوازنة.

قائمة المراجع

مراجع باللغة العربية :

- إيزفنج آلين: المدن الجديدة والضواحي، ترجمة : محمد أحمد غنيم، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ، 1990م .
- إبراهيم بن يوسف: إشكالية العمران والمشروع الإسلامي، مطبعة أبو داوود، الجزائر، 1992.
- تشارلز .أ. برمز: المدينة ومشاكل الاسكان، ترجمة : لجنة من الاساتذة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1964م .
- جاكلين بوجوقاريني : الجغرافيا الحضرية، ترجمة عبد القادر حليمي، د.م.ج، الجزائر، 1989م.
- جيرالد بيريز: مجتمع المدينة في البلاد النامية، ترجمة : محمد محمود الجوهري، دار النهضة، مصر، 1972م .
- ج.ب. ديكسون: جغرافية العالم الثالث، ترجمة : عيسى علي إبراهيم، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، 1988م .
- محمد عباس إبراهيم: التصنيع والمدن الجديدة، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، 1986م .

المراجع باللغة الاجنبية :

- **Claude Moindrot : Villes et Compagnes Britauniques, Libraire Armand Colin , 103 Baulevard Saint - Michel , Paris , 1967 .**
- **Piérre Merlin : Les Villes Nouvelles , Puf , Paris , 1972**
- **Piérre Merlin , Française Choay ; Dictionnaire De l'Urbanisme Et De l'Amenagement , Puf , 1988 , P 135**
- **Piérre Merlin : " Les Villes Nouvelles Française " In Notes Et Etudes Dacummintaire N°: 4286 ،3 Mai 1976**
- **Nabila Djahnine et autre : " Villes Nouvelles au Nouvelles Villes ", Les builletin (des Architectes Algeriens en France) , Numero : 03, Juin 1995, P 01, Paris**
- **Ebenezer Howard, Garden Citès Of Tmorow, fober and fober, Ed, London, 1965.**